البابُ الأوَّلُ

مُحَمَّدُ البهيُّ : النشأةُ والتَّكوينُ

- مراحلُ حياتهِ .
- سيرتُهُ العلميَّةُ والثقافيَّةُ .
- شيوخُهُ وتلاميذُهُ .
- مؤلفاتُهُ .

الفصلُ الأوَّلُ

مراحلُ حياةِ محمَّدٍ البهيِّ

- اسمُهُ وَبيئَةُ نَشْأَتِهِ .
- نسبُهُ وأصلُهُ .
- صفاتُهُ وأخلاقُهُ .
- وفاتُهُ ومَا قيلَ عنهُ .

المبحثُ الأوَّلُ

اسمُهُ وبيئةُ نَشْأَتِهِ

هُوَ مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ البهيُّ قُرْقُر[1]، وُلِدَ رحمَهُ اللهُ تعالى ، في يومِ الخميسِ ، الموافقِ للثّالثِ مِنْ شهرِ أغسطس « آب » ، عام ألفٍ وتسعِمائةٍ وخمسةٍ ميلاديةٍ (١٩٠٥م) في مطلعِ القرنِ العشرينَ الميلاديِّ ، في قرية« اسمانيّا[2]» ، التّابعةِ لمركز « شبرا خيت» ، بمحافظة « البحيرة» ، بجمهوريّةِ مصرَ العربيّةِ .

---

(١) محمد محمد البهي قُرْقُرْ : هذا اسمُهُ حسبَ وثيقة سفرِهِ ، « جواز سفره الخاص» كما أفاد بذلك ، صهرهُ ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصّة ومقابلة شخصيّة للباحث ، العباسية ، ميدان حي الزيتون ، إمبابة ، القاهرة ، في ٢٣ مايو ٢٠٠٧م . قُرْقُرْ : القَرْقَرَةُ : الضّحكُ إذا استُغرِبَ فيهِ وَرُجِّعَ ، [وتعني أيضاً] الهدير ، وقَرْقَرَةٌ : من أصوات الحمام ، والقُراقِرُ والقَراقِريُّ : الحسنُ الصّوتِ ، والقُرْقُورُ : ضَرْبٌ من السُّفُنِ [بل من أطولها] وجمعُهُ قراقيرُ . انظر ، محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب ، ص١٠٣، ١٠٤. [وأمّا] كَرْكَرَهُ :[فتعني] أعادَهُ مرّةً بعدَ أُخرى ، والكِرْكِرَةُ : الجماعةُ من النّاسِ ، وكَرْ كَرَ : ضَحِكَ وانْهَزَمَ ، وتَكَرْكَرَ : تردّى في الهواءِ . انظر ، محمد ابن يعقوب الفيروزآبادي : معجم القاموس المحيط ، رتبه ووثقه ، خليل محمود شيحا ، ص ١١٢٣ ، ١١٢٤ .

(٢) اسمانيا : سَمَّانَةُ : بفتح أولِهِ وتشديد ثانيه . يجوز أن يكون فعّالاً أي : سمّاناً من السّمّان وهو موضع أو مكان ، ويجوز أن يكون فعلان من السَّمِّ القاتل أو مِن سَمَّمْتُ الشيءَ ، اسمُّهُ : إذا أصلحتهُ . وقيل سُمِّيَت سمّانيا : نسبةً إلى الزيت الذي كان أهلها يجمعونه من السمك . انظر ، ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى « ٦٢٦هـ» : معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ٥، ٦/٦٥ .

مِنَ المآثرِ التي تميّزتْ بها تلكَ المُحافظةُ ، حرصُهم على تربيّةِ أبنائهم منذُ نشأتِهم الأولى ، على الاتصالِ بكتابِ اللهِ تعالى ؛ حيثُ يُدخلونَهُم المدارسَ القُرآنيّةَ المعروفةَ «بالكتاتيب»[1]، ثُمَّ تبدأُ الصِّلةُ الأولى لهم بحروفِ اللُّغةِ العربيّةِ ، إذ يتعلمونَها ويحفظونَ كيفيّةَ كتابتِها ، ثم يتدرّجونَ بعد ذلك في حفظِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

نشأَ «محمَّدُ البهيُّ» في بيئةٍ إسلاميّةٍ ، إذْ كان والدُهُ رجُلاً مُؤمناً تقيّاً ، قد نالَ قِسطاً مِنَ التّعليمِ الأزهريِّ[2]، وهو أوّلُ تاجرٍ في قريتِهِ ، كان حريصاً على أداء واجباتِهِ نحوَ ربِّهِ سُبحانَهُ وتَعالى ، ويتمتَّعُ بمكانةٍ اجتماعيّةٍ مرموقَةٍ بينَ أهلِ قريتِهِ .

أمّا والدتُهُ : كانتْ امرأةً صالحةً ؛ لأنها ساعدتْ زوجَها في تنشئةِ أولادِها على مبادئ الإسلامِ الفِطريِّ ، كسائرِ أُمّهاتِ القَريةِ أو الرِّيفِ المِصْريِّ ، فَغَرَسَتْ فيهِمُ الصِّفاتِ النبيلةَ : كالصِّدقِ ، الطُّهرِ ، العَفافِ ، الكَرامةِ ، والعِزَّةِ .

بالرَّغمِ مِنْ عدمِ تعلُّمِها إلاّ أنَّها وفّرتْ لولدِها إمكانيّاتِ التعلُّمِ والتَّعليمِ ، كانتْ رعايتُها فائقةً ، وتربيتُها لأبنائِها رائعةً .

تَرَعْرَعَ «البهيُّ» في بيئةٍ : (كانَ لَها فَضْلُ إنجابِ جَماعةٍ كَبيرةٍ مِنَ العُلماءِ الّذينَ تركُوا بَصَماتِهم واضحةً في واقعِ المُجتمعِ المِصريِّ ، حتّى العربيِّ ، [والإسلاميِّ والعالميِّ] ، إذْ كانَ مِنْهُمُ الدُّعاةُ والقادةُ وشيوخُ الأزهرِ ، مثلُ : «سليمُ البِشْرِيُّ»، «إبراهيمُ حمروشُ»، «مُحمَّدُ عَبْدُهُ»، «محمودُ شلتوتُ»،

---

(١) الكتاتيب : مفردها الكُتّابُ ، وهي مكانٌ لتحفيظ الصّبيان القرآن ، وتعليمهم القراءةَ والكتابةَ . انظر ، إبراهيم مدكور ، المعجم الوجيز ، ص٥٢٧ .

(٢) محمد فهيم غيث : زيارة خاصّة ومقابلة شخصيّة للباحث ، ٢٣ مايو/٢٠٠٧م.

«حَسَنُ البنَّا» ، «مُحمَّدُ البهيُّ» ، «مُحمَّدُ المدنيُّ» ، «عبدُ العزيزِ عيسى» ، «عبدُ اللهِ المشدُّ» ، [مُحمَّدُ الغزاليُّ] وغيرُهُم) [1].

تَلقّى «البهيُّ» تلاوةَ القُرآنِ الكريمِ في الكُتّابِ ، كسائرِ أقرانِ بيئتِهِ مِنَ الصِّبْيَةِ الصِّغارِ ، ذلكَ أنّ الأطفالَ في هذهِ السِّنِّ ، عادةً تكونُ لَهُم ذاكرةٌ خارقةٌ ، تستوعِبُ كُلَّ ما يُعرَضُ عليْها .

يذكُرُ «البهيُّ» في هذا المجالِ بعضَ ما كانَ يحسُّ بهِ مِنْ مشاعرَ ، أثناءَ الفترةِ التي قضاها في كُتّابِ قريتِهِ ، فيقولُ : (أتممتُ حِفظَ القُرآنِ الكريمِ ، وأنا في سِنِّ العاشرةِ ، في كُتّابِ الشيخِ «محمد الديب» . وأرسلني والدي إلى ، «دَسوقَ» تبرُّكاً بسيدي «إبراهيم الدَّسوقيِّ»، لتجويدِ القرآنِ على [يَدَيْ] الشيخِ «سيد الهواري» . . . . وفي سنِّ الثانيةَ عشرةَ انتسبتُ إلى المعهدِ «البُرهامِيِّ» ، ومكثتُ بدسوقَ ثلاثَ سنواتٍ ، سافرتُ بعدها إلى «طنطا» للالتحاقِ بالمعهدِ هناكَ ، [ولكنْ] لم يستقرْ بنا الأمرُ طويلاً . لم نُكملْ سنةً واحدةً هُناكَ ، [حتّى] صدرَ قرارٌ بتحويلِ أبناءِ «البحيرةِ» إلى «معهدِ إسكندريةَ الدِّينيِّ» . وقَعَتْ في هذهِ السّنةِ إضراباتٌ واضطراباتٌ عامّةٌ ، تعبيراً عنِ الرّغبةِ الوطنيّةِ القويّةِ ، بإنهاءِ الاحتلالِ البريطانيِّ لمصرَ والسودان) [2].

استمرَّ الإضرابُ لمُدَّةِ عامَيْنِ ، لمْ [تُجْرَ] فيهما دراسةٌ ولا امتحاناتٌ . ومِمّا يَلْفِتُ الانتباهَ : أنّ «البهيَّ» منذُ نُعومةِ أظفارِهِ ، اتّجهَ إلى دفعِ إغراءِ المالِ مهما كانتْ الحاجةُ إليهِ ، فتراهُ يقولُ : (وساعدَني على ذلكَ توجيهُ والدي لي في هذا الجانبِ) [3].

---

(١) عبد الحليم عويس : الشيخ محمد الغزالي «مراحل عظيمة في حياة مجاهد عظيم» ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، ص١٥ .

(٢) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٢٧.

(٣) المرجع السابق ، ص٢٨ .

كان والدُهُ لا يُحدِّدُ لهُ مبلغاً مُعيّناً ، ولا يسألُهُ عمّا أنفقَهُ ؛ لأنّـهُ كـانَ تـاجراً ميسورَ الحالِ . فها هو يقولُ : (فـإذا ذكَـرْتُ لـهُ رَقَمـاً بالصُّـدفةِ قَلَّـلَ مِـنْ شـأنِهِ وعاتَبَني ، على عدمِ الاهتمامِ برعايةِ نَفْسي . والسُّؤالُ الذي كان يُردِّدُهُ لي : مَدى تفُوقي في الدِّراسـةِ ، ومـدَى تَحْصِـيلي في العُلـومِ ، بـذلك قَـوَّى اتجـاهي مُنْـذُ الصِّغرِ ، إلى الاهتمامِ بالأُمورِ الأُخرى غَيرِ المادِّيَّةِ) [1].

لذا كانَ توجهُهُ قويّاً نحـوَ القـيَمِ السّـاميةِ ، والمشـاعرِ النّبيلـةِ ، والتّرفُـعِ عـنِ الدَّنايا والرَّزايا وسِفْسافِ الحياةِ . بفضلِ الله تعالى عاشَ والدُهُ ، حتى شاهدَ بـأُمِّ رأسِهِ حيـاةَ ولـدِهِ التَّعليميَّـةِ ، والأدبيَّـةِ ، والوظيفيَّـةِ ، ممّـا أدخـلَ عليـهِ السُّـرورَ النَّفسيَّ ، والاطمئنانَ القلبيَّ قبلَ وفاتِهِ .

* * *

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٢٨ .

المبحثُ الثّاني

نسبُهُ وأصلُهُ

ينتسبُ «البهيُّ» إلى أُسرةٍ مصريّةٍ ريفيّةٍ ، تهتمُّ بالشعائرِ الإسلاميّةِ ، حيثُ كان التّعليمُ الدّينيُّ والتّوجُّهُ إلى الالتحاقِ في الأزهرِ ، مِنَ السِّماتِ الغالبةِ ، والأولويّاتِ الهامّةِ ، لدى سكّانِ مصرَ قاطبةً ، لا سيما أهلِ محافظة «البحيرةِ» خاصّةً ، والعالَمِ العربيِّ والإسلاميِّ عامّةً .

عاشَ «البهيُّ» منذُ اللحظةِ الأولى من حياتِهِ في عائلةٍ دينيّةٍ ، ديدنُها الاهتمامُ بالقيمِ العُليا ، وتمجيدِ الروابطِ الإنسانيّةِ ، القائمةِ على حُبِّ الآخرينَ والإيثارِ .

تتكوّنُ أسرتُهُ مِنْ والدٍ ـ عَطوفٍ على أبنائهِ ، يَحرِصُ على تعليمِهم بحماسةٍ لم يُدركْها فتورٌ ، لاسيما أنّهُ تاجرٌ ميسورُ الحالِ ـ ووالدةٍ حانيَةٍ ، بذلتْ قَصارى جَهدِها في توفيرِ المُناخِ الدافئِ للتّربيَةِ المُتأنيّةِ الودودِ .

وجدَ «مُحمَّدٌ البهيُّ» نفسَهُ في عيْشةٍ هانئةٍ ، وحياةٍ سعيدةٍ مُستقرّةٍ ، بينَ خمسِ أخواتٍ شقيقاتٍ ، وأخٍ واحدٍ شقيقٍ ، اسمهُ « إسماعيل البهيّ» .

مِنَ الأدلّةِ التي تُبيِّنُ متانةَ وأصالةَ العلاقاتِ الاجتماعيّةِ ، بينَ أفرادِ أُسرةِ البهيِّ ، وعُمقَ حُبِّهِ لوالدهِ ، قولُهُ : (وقد توفيَ والدي في ديسمبر سنةَ ١٩٤٢م ، وحزِنتُ عليهِ حُزناً عميقاً ؛ لأني كنتُ أُحِبُّهُ وأُقدّرُهُ)[1].

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٤٩ .

ورِثَ عن أبيهِ أربعةَ فدادينَ مِنَ الأرضِ ، باعَ فدّانيْنِ منها لابنِ أخيهِ ، بسببِ حاجتهِ للسّكَنِ . وممّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ أنَّ «مُحمَّدَ البهيّ» لم يكُنْ يملكُ بيتاً خاصّاً به طيلةَ حياتِهِ . وقد تأخّرَ في زواجهِ حتّى بلغَ مِنَ العُمُرِ سبعةً وثلاثينَ عاماً ، حيثُ يقولُ :(وفي سنةِ ١٩٤٣م، تزوّجتُ بكريمةِ المرحومِ «علي الغاياتي»[١]، صاحبِ كتاب «وطنيتي» ، وصاحبِ جريدةِ «منبرِ الشّرقِ» . . . كما عاشَ في «جنيفَ» مِنْ قَبْلُ : صاحبُ مبدأ ، يصدُرُ فيه عن إيمانٍ عميقٍ بالإسلامِ ، وبحبٍّ كبيرٍ لمصرَ . لذا لاقى كثيراً من العَنَتِ والمشقّةِ في حياتهِ . إذْ كلُّ من يريدُ أن يقفَ بجانبِ الإيمانِ باللهِ ، لا بدَّ أنْ يوطِّدَ نفسَهُ على قَبولِ الحرمانِ ، والنّصيبِ الأدنى في مُتعِ الحياةِ)[٢].

أنجبَ «البهيُّ» ابنةً وحيدةً[٣]، ثمَّ قالَ في هذهِ المُناسَبَةِ : (وفي سنةِ ١٩٤٤م جاءتْ ابنتي «ناديةُ» إلى الدُّنيا ، وكان القُصورُ في الغذاءِ والكساءِ ، ظاهرةً

---

(١) علي الغاياتي : شيخٌ أزهريٌّ ، من أصلٍ مصريٍّ ، توفيَ عام ١٩٥٦م ، عمِلَ في الصحافة ، نفي إلى الأستانة ، ثمّ سافرَ إلى «سويسرا» وتزوّجَ هناكَ ، وأنجبَ فتاةً هي «هُدى علي الغاياتي»، زوجُ «محمد البهي»، وتتقنُ اللغةَ السويسريةَ والفرنسيّةَ . انظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصّة ومقابلة شخصية للباحث ، ٢٣ مايو ٢٠٠٧م . وانظر ، محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٤٩ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) هي «نادية محمد البهي» ، تزوجها الدكتور الصيدلاني «محمد فهيم غيث»، وكان زواجهما عام ١٩٦٣م ، بوساطة الأستاذ «أبو اليزيد شرابي» ، أحد تلاميذ الدكتور «البهي» وهو من الأصدقاء الأوفياء للدكتور «محمد فهيم» أيضاً ، وأنجبت أربعَ بناتٍ ، حصلنَ على التعليم الجامعي ، ويشغلنَ وظائفَ مرموقةَ في جمهوريّةِ مصرَ العربيةِ ، وولداً وحيداً ، يمتهنُ التجارةَ ولديه مصنعٌ . انظر ، حسين وهبة : زيارة خاصة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، زيارة خاصّة ومقابلة شخصيّة للباحث ، ٢١مايو ٢٠٠٧م . وانظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصة ومقابلة شخصيّة للباحث ، ٢٣مايو ٢٠٠٧م .

سائدةً في الحياةِ المصريّةِ إذْ ذاكَ . فجنودُ الحلفاءِ بلغت عشراتُ الآلافِ بمصرَ ، وكان على مصرَ أنْ تَمُدَّ هؤلاءِ الجنودِ بكُلِّ ما يحتاجونَ)[1].

تَزوَّجَتْ ابنتُهُ عام ١٩٦٣م ، وأنجبتْ ولداً وأربعَ بناتٍ . ومن أقاربِ وأرحامِ «البهيِّ» الذينَ كانَت لَهُم ، أبعادٌ نفسيّةٌ وآثارٌ حياتيةٌ في واقعِ معاشهِ ، وبدايةِ تجاربِهِ ـ لا سيما وهو في معهدي دسوقَ وطنطا ، لتجويد وتحفيظِ القرآنِ الكريمِ ـ هُم أبناءُ أخوالهِ ، فتراهُ يقولُ : (وكنتُ في صحبةِ ابنِ خالي المرحوم «محمد إبراهيم مرعي» الذي كان واعظاً فيما بعدُ ، وسكنتُ معهُ في حُجرةٍ متواضعةٍ ، كانَ ثالثُنا ابنُ خالي الآخرَ وابنُ عمِّ «محمد مرعي» .

[وهو] «محمد البيه» ، [الذي] بذلَ في سبيلِ خدمتِنا الشيءَ الكثيرَ ، وأجرُهُ عندَ اللهِ وحدَهُ . ولسوءِ المُعاملَةِ التي كانَ يلقاها من ابن عمِّهِ ، انقطعَ عنِ الدِّراسةِ في المعهدِ وهو في السَّنةِ الثالثةِ الابتدائيّةِ ، وتعلّلَ بالمرضِ وكانَ يُجيدُ مظاهرَهُ . قد كانتِ المعيشةُ في صُحبةِ ابنِ خالي شاقةً ، سواءٌ في «دسوق» ، أو في «طنطا» . فقد كانَ شحيحاً في الإنفاقِ ، رغمَ أنَّ والدي كانَ يَحُثُّهُ على أنْ يُهيئَ لنا عيشةً مقبولةً ومُعتدلةً . ولمّا تكرَّرتْ شكوايَ لوالدي ، حضرَ إلى «دسوق» واتفقَ معَ صاحبِ مطعمٍ ، وهو يونانيٌّ بجوارِ محطّةِ السِّكّةِ الحديديّةِ ، على أن يدفعَ لهُ مُقدّماً كلَّ شهرٍ ، ثمن وَجْبَةِ الظُّهرِ أتناولُها في مطعَمِهِ)[2].

أدركَ «مُحَمَّدُ البهيُّ» التَّضحياتِ التي بذلَها والدُهُ ، في سبيلِ تربيتهِ وتعليمهِ ، فانعكسَ أثرُها العميقُ في صَقلِ شخصيّتهِ فيما بعدُ ، حيثُ كان يُلاحِظُ بدقّةٍ وعِنايةٍ فائقةٍ ، أنَّ جَهْدَ أبيهِ لا يَنتَجُ من فراغٍ ، بل إنّما يَنبُعُ من حُبٍّ للهِ تعالى ، ولرسولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ثمَّ بدافعِ الإخلاصِ لدينهِ ، كانَ هذا الأبُ مثالاً

---

(١) محمد البهي : حياتي في رحاب الأزهر ، طالب . وأستاذ . ووزير ، ص٥٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

حيّاً ، وأُنموذجاً طيّباً لآلافِ المُسلمينَ الّذينَ وثقوا بالقرآنِ أواصرَهُم ، ونذَرُوا لَهُ أولادَهُم ، فهُم لمْ يربطُوا حاضرَهُم بهذا الكتابِ فحسْبُ ، بل أبقَوهُ في أعقابِهم وذُرياتِهم .

هذهِ البيئةُ الأُسريّةُ بأبعادِها وألوانِها المتينَةِ ، كان لها أثرُها العميقُ ، في مسارِ حياةِ «البهيّ» ، إذْ شكّلتِ اهتماماتِهِ وفكرَهُ ووجدانَهُ ، ممّا جعلَهُ يُسخّرُ حياتَهُ كُلَّها في تحقيقِ تلكَ الاهتماماتِ والأفكارِ النّاضِجَةِ ، مُرتديةً ثيابَ التّجديدِ والإصلاحِ .

• • •

المبحثُ الثّالثُ

صفاتُهُ وأخلاقُهُ

كانَ «البهيُّ» رحمَهُ اللهُ تعالى ، أديباً عريقاً مِنْ أُدباءِ المدرسةِ القُرآنيّةِ ، التي فيها صُقِلَتْ مواهبُهُ الأولى ، فَهُوَ مُفكّرٌ مشهودٌ لَهُ ، في الأصالَةِ والمُعاصَرةِ بكلِّ المجالاتِ الثقافيّةِ : الإسلاميّةِ منها والاجتماعيّةِ ، والاقتصاديّةِ ، والسياسيّةِ ، والفكريّةِ ، إلى غيرِ ذلكَ من الموضوعاتِ والقضايا الإصْلاحيَّةِ القُطريّةِ خاصَّةً ، والعربيّةِ الإسلاميّةِ والعالميّةِ عامَّةً .

(عرفَ فيهِ النّاسُ سَعَةَ العلمِ وقوّةَ الإيمانِ . . ولمَسُوا فيهِ شجاعةَ الرّأي ، وصِدقَ القولِ ، فقد كان . . لا يُجامِلُ في الحقِّ أحداً ، ولا يبخلُ بالرّأي والمشورَةِ . . . ولهذا كانت آلافُ الرّسائلِ ترِدُ إليهِ يوميّاً . . من أنحاءِ البلادِ ، يستفتيهِ أصحابُها في أُمورِ دينِهم ودُنياهُم ، ثِقةً منهُم في حَصافَةِ رأيهِ . . وسَعةِ اطّلاعِهِ ، وخبرتِهِ في الحياةِ والنّاسِ)[1].

يُحِبُّ الحقَّ وينتصِرُ لَهُ ، فهوَ يَعْرِضُ الإسلامَ عَرضاً جَميلاً جَديداً ، بلُغةِ العصرِ ومفاهيمِهِ وأساليبِهِ ، معَ يقينِ المُحافظةِ على جوهَرِ العقيدَةِ المُستَمدَّةِ مِنَ الكتابِ والسُّنّةِ .

يَكْرَهُ أنْ يكونَ المسلمُ ضعيفاً ، أوْ مَقهوراً . ويُحبُّ النشيطَ الجادَّ في عملِهِ ، كما يُقدِّرُ المُتفوِّقَ ويُعجَبُ بهِ ، بغضِّ النَّظرِ إلى لونِهِ أو جنسِهِ أو شكلِهِ .

---

(١) وهبة حسن وهبة : مقدمة مذكرات حياتي في رحاب الأزهر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص٩ .

يعتبرُ العملَ والتَّفكيرَ المُنتِجَ عبادةً ؛ لذا كانَ لا يُصدِرُ قراراً إلاّ بعدَ رويّةٍ وإعمالِ فكرٍ ، ودقّةِ المُلاحظةِ ، حتى إذا ما صدرَ القرارُ ، كانَ هو العَدْلُ الذي يرتاحُ إليهِ ضميرُهُ ، فَهُوَ يُحبُّ الأمينَ وينتصرُ للمظلومِ .

يَمقُتُ المُهْمِلَ الذي لا يعملُ ، وهذهِ حادثةٌ تُدلِّلُ على ذلكَ : (اعتزمَ يوماً القيامَ بجولةٍ تفتيشيّةٍ في إحدى مُحافظاتِ الوجه القِبليِّ ، [حيثُ كان يعملُ وزيراً للأوقافِ المصريّةِ] وكعادتِهِ احتفظَ بالأمرِ سرّاً . . . واستقلَّ القطارَ المُتَوَجِّهَ إلى تلكَ المُحافظةِ ... على قدميهِ سعى حتّى مُديريّةِ الأوقافِ بها ، ... وعندما همَّ بعبورِ الطّريق ، لاحظَ امرأةً تُحاولُ الدُّخولَ إلى المبنى الذي يَقصِدُهُ ، ثمَّ رأى يداً تمتدُّ مِنْ وراءِ البابِ لتدفعَ هذهِ المرأةَ فتسقُطَ . ثُم تقومُ المرأةُ تنفُضُ عنها التُّرابَ ، وتحاولُ الدُّخولَ للمرّةِ الثانيةِ ، لتعودَ اليَدُ القاسِيَةُ نَفْسُها لتدفعَها . . . لتُعاوِدَ السُّقوطَ مرّةً أُخرى ، . . . وعندَ بابِ المُديريّةِ رأى امرأةً في العَقْدِ السّادسِ من عُمُرِها ، . . . وقد توفيَ زوجُها مُنذُ تسعةِ أشهُرٍ ، بعدَ أنْ تركَ لها أولاداً أربعةً كُلُّهم دُوْنَ سِنِّ الكَسبِ ، وَأَنَّها مُنْذُ وفاتِهِ وهيَ تتردَّدُ على المُديريّةِ لتسويةِ المعاشِ دون طائلٍ . . . قامَ الوزيرُ بجولتِهِ ، فَتَّشَ وراجعَ وسألَ ، وكانتِ الحصيلةُ مؤلمةً .

طلبَ الْمَلَفَّ الذي حفيتِ المرأةُ طيلةَ الشُّهورِ التّسعةِ خلفَهُ ، فإذا بهِ على الحال التي كانَ عليها يومَ تُوفيَّ صاحبُهُ . . . أصدرَ تعليماتِهِ كتابةً بأنْ يُرْسَلَ الْمَلفُّ فَوراً إلى ديوانِ [وزارةِ الأوقافِ] مَعَ مخصوصٍ . . . على أنْ تُبحثَ الحالةُ ويُعَدُّ تقريرٌ في خلالِ ساعتينِ من وصولِهِ . . . لكنَّ الوزيرَ الإنسانَ ، طلبَ المَلفَّ في اليومِ التالي . . . وإذا بهِ على الحالِ التي رآها عليهِ في المُديريّةِ حينَ أرسلَهُ . . . لم يُفتحْ . . . ولم يُخَطَّ فيهِ قلَمٌ . فوقَّعَ الجزاءَ على الموظّفِ الذي أهملَ ، وعلى الموظّفينَ بالمُديريّةِ ، الذينَ تسبّبوا في تعطيلِ صرفِ المعاشِ هذهِ المُدّةِ ، ثمّ أصدرَ رحمهُ اللهُ تعالى قراراً وزاريّاً ، يقضي بألاّ

تتجاوزَ الفترةُ ما بينَ الوفاةِ وصرفِ المعاشِ شهراً بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ ، . . . وأنْ تُصرفَ مَصْرُوفاتُ الجنازةِ خلالَ الثلاثةِ أيّامٍ التّاليةِ للوفاةِ على الأكثرِ)[1].

نظر «البهيُّ» إلى الجانبِ الإنسانيِّ في مأساةِ تلكَ المرأةِ الأيّمِ ، التي تُعيلُ أطفالاً يتامَى ، كأنّها زوجتُهُ ، أو ابنتُهُ ، أو شقيقتُهُ ، فهو يشعُرُ بالمسئوليّةِ ، ويتحسَّسُ خُطورةَ التَّفريطِ أو التَّقصيرِ .

انتصرَ لِتلكَ المرأةِ المفْجُوعَةِ بزوجِها ، المُثْقَلَةِ بِهُمومِ مَعيشَةِ أبنائِها ، عبادةً للهِ تعالى وحْدَهُ ، ولم يُصغِ لشفاعةِ الشّافعينَ ، الّذينَ وفَدُوا على الوزيرِ «البهيِّ» ، للتّوَسُّلِ في زُملائِهِمُ المُقَصِّرينَ ، في واجبِ عَمَلِهِم .

أغْضَبَ كُلَّ مَنْ جاءَ يرجوهُ مِنْ أقربِ أصدقائِهِ ومعارفِهِ . وكأنّهُ يتمثّلُ الحديثَ الشَّريفَ ، الذي يَرويهِ ابنُ المُباركِ عنْ عُمَرَ بنِ سعيدٍ أبي حُسينٍ النّوفليِّ المكيِّ عنِ القاسمِ بنِ محمدٍ قالَ : سمعتُ عمَّتي تقولُ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ وَلِيَ مِنكُم عملاً فأرادَ اللهُ بِهِ خَيْراً ، جَعَلَ لَهُ وَزيراً صالِحاً إنْ نَسِيَ ذكَّرَهُ ، وإنْ ذَكَرَ أعانَهُ»[2].

عاشَ «البهيُّ» إذاً أميناً ، صادقاً ، يُحبُّ النِّظامَ والنّظافةَ[3] في مظهرِهِ ومَخبرِهِ ، يذهبُ إلى عملِهِ الوظيفيِّ في السّاعةِ السّابعةِ صباحاً ، ويأوي إلى فراشِهِ السّاعةَ التّاسعةَ مساءً ، يُبرمِجُ أوقاتَهُ ومواعيدَهُ بدقّةٍ وعنايةٍ .

---

(١) وهبة حسن وهبة : مقدمة مذكرات حياتي في رحاب الأزهر ، ص١٤-١٧.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط٤ ، رقم الحديث «٤٨٩» ١/٨٠٢ . وأخرجه النسائي : تحت رقم «١٨٧/٢».

(٣) وقد تأثر بإخلاص وصدق النّاسِ الذين عاشرهم في ألمانيا الغربية أثناءِ دراستهِ ، ما بين عامَيّ «١٩٣١-١٩٣٨م»، وكان يهتمُّ بطعامه ، فلا يأكلُ «الحُرشي» أي الطعام شديد الحرارة أو الملوحة ، وكلمةُ الحقِّ هي بُغْيَتُهُ ومطلبُهُ ، كان إتساناً بمعنى الكلمة ، إذ يتبسّطُ حتّى مع الطّفل الصغيرِ ، ويهتمُّ به . انظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصّة ومقابلة شخصيّة للباحث ، ٢٣ مايو ٢٠٠٧م .

كانَ عزيزاً بربِّهِ ، شامِخاً بدينهِ ، قويّاً بفكرِهِ ، بعيداً عنِ الأهواءِ الشّخصيَّةِ ، وفيّاً حيثُ يَعِزُّ الوفاءُ : فإنَّهُ عندما كانَ مُشارِكاً ، في النّدوةِ الْعالميَّةِ الإسلاميّةِ في مدينة لاهور الباكستانية عامَ ١٩٥٨م ، توفيَ أحدُ أعضاءِ الوفدِ المصريِّ[١] هُناكَ ، فكانَ «البهيُّ» هو الرّجُلُ الوحيدُ الذي ، عادَ مَعَ الجنازةِ ـ وفاءً وعرفاناً ـ تاركاً المؤتَمَرَ وشأنَهُ ، فلم تُشْغِلْهُ الدُّنيا عنِ النُّهوضِ بواجبٍ ؛ لأنه : (كانَ لا يَسعى للدُّنيا ، وإنْ سعتْ إليهِ ، [فَهُوَ] لا ينشُدُ منها مَغنماً ، إنّما أعرضَ عنها . حَسْبُهُ [رِضاءُ] ربِّهِ ، . . . كم تعرّضتْ لَهُ الدُّنيا بفتَنِها ومُغرياتِها ، لكنّهُ أعْرَضَ عنْها ، واحتقَرَ عَرَضَهَا الزائلَ في عِزّةٍ وكرامةٍ)[٢].

اتَّصَفَ «البهيُّ» بالنَّزاهَةِ ، فلمْ تستطعْ مناصبُهُ الكبيرةُ ، التي تقلّدَها أنْ تُغيِّرَ مِنْ تواضُعِهِ ، بل بقيَ على فِطْرَتِهِ النَّقيَّةِ ، وطَبيعتهِ البهيَّةِ ، مُؤمِناً بربِّهِ ، مُتمسِّكاً بدينهِ ، مُعتَزًّا بقلمِهِ ، مُستقِلاً بفكرِهِ ، مُنتمِياً لقيَمِهِ .

حَدَثَ أنّهُ كانَ في زيارةٍ رسميَّةٍ لدولةِ الكُويتِ ، فأُهديتْ إليهِ ساعةٌ مُرصّعةٌ بالذهبِ ، فلم يقبلْها وأعادَها مِنْ حيثُ أتت ، مُذيّلةً بالشُّكرِ والامتنانِ .

* * *

(١) هو «محمد عبد الله دراز» ولد في قرية محلة دياي بمحافظة كفر الشيخ سنة ١٨٩٤م، وتوفي عام ١٩٥٨م، حصل على عضوية جماعة كبار العلماء في مصر عام ١٩٤٩م، أثرى المكتبة الإسلاميّةَ في مؤلفاته العديدة ، ومنها : تأملات في التفسير ، والتفسير التّحليليّ ، والنبأ العظيم ، ورسالته «دستور الأخلاق في القرآن» ونال عليها شهادة الدُّكتوراه ، من جامعة «السوربون» من فرنسا . انظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصّة ومقابلة شخصيّة للباحث ، ٢٣ مايو ٢٠٠٧م ، وانظر ، مسعود بن موسى فلوسي : الشيخ الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود ، ص٣٩ .

(٢) وهبة حسن وهبة : مقدمة مذكرات من حياتي في رحاب الأزهر ، ص٨ .

المبحثُ الرّابعُ

وفاتُهُ وما قيلَ عنْهُ

في يومِ الخميسِ الموافقِ للتّاسعِ مِنْ سبتمبر «أيلول» ، عامَ ١٩٨٢م ، شَعَرَ «البهيُّ» بحُمّى أصابَتْ جميعَ جسدِهِ ، لا سيما في رأسِهِ ، مِمّا استدعاهُ أنْ يَلْزِمَ الفِراشَ ، ثمَّ نُقِلَ في اليومِ التّالي لمرضِهِ ، إلى مستشفى المُقاولِيْنَ العربِ في مدينةِ القاهرةِ ، فأُخضِعَ لفُحُوصاتٍ مُتنوِّعَةٍ ، داخلَ العنايَةِ الفائقةِ .

اكتشفَ الأطباءُ الاختصاصيُّونَ أنّهُ يُعانِي مِنْ نزيفٍ حادٍّ في شِريانِ مُخِّهِ ، مِمّا أدْخَلَهُ في غَيبوبةٍ أفقدَتْهُ وعيَهُ ، وفي يومِ الجُمُعَةِ الثاني والعشرينَ من شهرِ ذي القعدةِ ، سنةَ ١٤٠٢هـ ، الموافق للعاشرِ مِنْ سبتمبر ، سنةَ ١٩٨٢م ، أغمضَ عَينيْهِ وانتقلتْ روحُهُ الطّاهرةُ إلى باريها .

إنَّ ممّا يؤسفُ لَهُ بأنَّ «البهيَّ» لم (يجدْ ما يستحقُّهُ من الذِّكْرِ والوفاءِ . . . وعَرْضِ سيرتِهِ وأفكارِهِ وأعمالِهِ . . . لم يُكتبْ عنهُ في صحيفةٍ . . . أو تتناولُ حياتَهُ الإذاعاتُ أوِ التليفزيونُ ، [وهوَ] صاحِبُ المدارسِ الفكريّةِ . . . والتّاريخِ الحافلِ ، بالرُّغمِ مِنْ أنَّ له تلاميذَ كثيرينَ ، يتقلّدُونَ أرفعَ المناصبِ ، وأصدقاءَ من كبارِ رجالِ الأزهرِ ، . . . فلمّا انتقلَ إلى رحمةِ الله . . . لم يذكرْهُ أحدُهم ، اللهمَّ إلاّ مقالَيْنِ صغيرَيْنِ . . . لا يتّفقانِ معَ مكانةِ أُستاذِنا الجليلِ . . . وإحقاقاً للحقِّ فقد كُتِبَ [مقالانِ آخرانِ] ... وإنّما يعرِفُ الفضلَ مِنَ النّاسِ ذَووهُ) [1].

---

(١) وهبة حسن وهبة : مقدمة مذكرات من حياتي في رحاب الأزهر ، ص٢٣.

عُرِفَ «البهيُّ» بأنّهُ لم يكنْ ليُجاملَ أحداً، ولا يخشى في الحقِّ لومَةَ لائمٍ. يُجاهِرُ برأيِهِ ولو وقفَ وحدَهُ يُنافحُ عنهُ، ثمّ يُصدِرُ مِنَ التّعليماتِ واللوائحِ، ما يُصلِحُ بهِ الفاسِدَ، ويُقوِّمُ المِعوجَّ.

(تولّى مناصبَ كبيرةً عديدةً . . . فلمْ تَحُمْ حولَهُ يوماً شُبهةٌ، ولمْ يتّهمْهُ أحدٌ بطمَعٍ أو رغبةٍ، في أخْذِ مالٍ بغيرِ حقٍّ أو احتيالٍ لكسبِهِ، كانَ يتورَّعُ عنِ الحلالِ الخالصِ، والآخرونَ يلتمِسُونَ شُبَهَ التّحليلِ للمالِ الحرامِ)[1].

اشتُهِرَ بينَ كثيرٍ مِنَ النّاسِ، خاصّةً عندَ أبنائهِ طُلاّبِ العلمِ، بالأهليّةِ والصّلاحيّةِ للمعرفةِ. إذ كانَتْ عادَتُهُ: لا يُحاضِرُ إلاّ إذا كانَ مُتقِناً تماماً للموضُوعِ الذي سيُلقيهِ؛ لذلكَ عاشَ مُقدِّراً تمامَ التّقديرِ، وكانَ مِمّا قيلَ في تأبينِهِ: (والحقُّ أنّني ما رأيتُهُ مرّةً رحمَهُ اللهُ تعالَى، إلاّ وأحْسَسْتُ أنّهُ في قِمّةِ شبابِ النّفسِ والرُّوحِ، مُبتسِماً جَزلاً [جَذِلاً]، هادئَ البالِ، طيِّبَ النّفسِ، مُنطلِقاً يتحدَّثُ في إحاطةٍ بموضوعِهِ، قادراً على العطاءِ في آفاقِ الفكرِ الإسلاميِّ، مَليئاً بالأملِ في مُستقبَلِ الإسلامِ)[2].

نَذَرَ نفسَهُ وفكْرَهُ ليكشِفَ عنْ قِيَمِ الإسلامِ، واستمرارِ صلاحيّتِها في تلافي المشاكلِ الماديّةِ، للمُجتمعاتِ المُعاصرَةِ؛ لأنّها هيَ عينُها التي وجّهَها الإسلامُ الحنيفُ، على عهدِ الرّسالةِ، لِمُقاوَمَةِ ما يُسمّى بمثالِبِ الجاهليّةِ، فجاهليّةُ الأمسِ هي ماديّةُ اليومِ، لِهذا كانَ رحمَهُ اللهُ تعالى أصيلاً واثِقاً في عِلْمِهِ وعَمَلِهِ. وردَ في تأبينِهِ أيضاً ما يلي: (عرفتُ فيهِ عالِمَ الدّيْنِ، الّذي يَعتَزُّ بنفسِهِ

---

(١) عبد الجليل شلبي: مقال في مجلة الأزهر، السنة الخامسة والخمسون، ربيع الأول ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ٣/٣٠٨.

(٢) أنور الجندي: مقال بعنوان «الدكتور البهي ـ مفسّراً للقرآنِ ومفكّراً»، مجلّة الهلال، عدد نوفمبر ١٩٨٢م، ص٩٤.

مِنْ خلالِ ثقتِهِ في ربِّهِ ، . . . ويعتَزُّ بعملِهِ : حَزماً ودِقّةً ومسئوليّةً ، من خلالِ إيمانِهِ بأنّ العملَ كالعِلْمِ أمانةٌ في عُنُقِ صاحبِهِ . . .)[1].

كانَ مِنْ بينِ الثُّلّةِ القليلَةِ الذينَ شاركُوا في تأبينِهِ أيضاً : كاتبانِ آخرانِ[2] أثنيا عليهِ بعدَ وفاتِهِ ، بما يستحقُّهُ من الإطراءِ والثّناءِ الحسنِ ، وأنّهُ كانَ يُعطي كُلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ ، وينَسى الإساءةَ ، ويذكُرُ للنّاسِ فضلَهُم وكِفايتَهُم . اشترى قبلَ وفاتِهِ بسنتيْنِ قطعةَ أرضٍ في مُحافظةِ «القاهرةِ» ، على نفقتِهِ الخاصةِ ، وتبرّعَ بها وقْفاً على مقابرِ المُسلمينَ العامّةِ ، والتي يُطلقُ عليها مقابرُ مدينةِ نصر ، ثمّ دُفِنَ فيها رحمه الله تعالى .

* * *

(١) محمد عبد الله السمان : مقال في مجلّةِ أكتوبر القاهريّة ، العدد٣٤٧ ، السنة السابعة ، ٩ رمضان ١٤٠٣هـ/ الموافق ١٩ حزيران «يونية» ١٩٨٣م .

(٢) الكاتبان هما : محمود حمدي زقزوق ، وهو أحدُ تلاميذ الدكتور «محمد البهيّ» ، حيثُ كان ممّن أرسلهم في بعثةٍ تعليميّةٍ إلى «ألمانيا» ، وعُرِفَ بإخلاصِهِ الشديدِ لأستاذِهِ ، ويعملُ الآن وزيراً للأوقاف المصريّةِ . انظر ، محمد فهيم غيث : زيارة خاصّة ومقابلة شخصيّة للباحث . وأمّا الكاتبُ الآخرُ هو الأستاذ : جابر رزق : مقال بعنوان « آخر حوار مع الدكتور محمد البهيّ» ، مجلّة الأمة القطرية ، العدد٢٧ ، السنة الثالثة ، ربيع الأول ١٤٠٣هـ كانون الثاني« يناير » ١٩٨٣م .